﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود: 39]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

عند التَّمادي بالاستهزاء يجب التَّنادي بالاستخزاء

لمّا كان مدار سخريَّة قوم نوح استجهالَهُم إيّاه ﷺ في مكابدة المشاقِّ الفادحة لدفع ما لا يكادُ يدخل تحت الصِّحة على زعمهم من الطّوفان ومقاساة الشَّدائد في عمل السَّفينة، وكانوا يَعُدّونه عذابًا، فلمّا جهلوا حقيقة السَّفينة والغرض منها، ولم يحسبوا لمخبّآت الدَّهر ومُلِمّاته، فاسترسلوا مع أهوائهم يهزؤون، ويسخرون، قيل بعد استجهالهم: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من يُعذَّب[1]، فالمناسبة بين الآيتين هو أنَّ الأولى وصفٌ لواقع المجرمين بالتَّمادي بالاستهزاءِ والسُّخرية، فجاءتِ الآيةُ الثّانية لبيانِ مآل هذا الاستهزاء، وهو طلبُ الاستخزاء، وإلحاق العار بهم في الدُّنيا، والعقوبة في الآخرة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُخْزِيهِ﴾: أصْلُ الخِزْي ذلٌّ يُسْتَحَى منْهُ؛ ولذلكَ يُسْتَعْمل في كلٍّ منهما، أي: الذُّلُّ والاسْتِحْياء[2]، وقيل: أصلُه: الإبعاد، فقولُهُم: أخْزاهُ اللّه، أي: أبْعَدَهُ ومَقَتَهُ[3]، والخِزْيُ الفَضيحةُ، وقَدْ خَزِيَ يَخْزى خِزْيًا؛ إذا افْتَضَحَ وتَحيَّرَ فَضيحَةً[4]، الخِزْيُ أيضًا: السّوء[5]، والهَوانُ[6]، والمقصود بالخزي في الآية: الإهانَةُ والذُّلُّ[7].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/207، والآلوسي، روح المعاني: 6/250.
(2) الزَّبيدي، تاج العروس: (خزي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خزي).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (خزي).
(5) الخليل، العين، والأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللُّغة: (خزي).
(6) الزَّبيدي، تاج العروس: (خزي).
(7) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/290.

2) ﴿وَيَحِلُّ﴾: أصلُ الحَلِّ فَتْحُ الشَّيء[1]، ومنه حَلَّ المسافر عُقَدَ أحمالِه لينزِل بالمكان، ثمَّ جُرِّد استعمالُه للنُّزول[2]، والحِلَّة هيئة النُّزول، ومكانه والنّازلون[3]، والمَحَلَّةُ: المكانُ يَنْزِلونَ فيه[4]، يُقال حَلَّ يَحُلُّ حُلولًا؛ إذا نزل، والمعنى هُنا: ينزلُ عليه عذاب دائمٌ[5].

3) ﴿مُّقِيمٌ﴾: أصل (قوم) يدلُّ عَلَى انْتِصابٍ؛ يُقال: قامَ قيامًا؛ إذا انْتَصَبَ[6]، والمُقام يُقال للمصدر والزَّمان والمكان والمفعول[7]، يُقال: أقامَ الشَّيْءَ يُقيمه إقامَةً؛ إذا أدامَهُ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: 3][8]، فيُعبَّر بالإقامة عن الدَّوام والاستقرار، كقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾؛ يعني: هو دائمٌ مستمرٌّ، ولا ينقطع أبدًا[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

جـزاءُ السُّخرية الطَّويلة الخزيُ واســتــمــرارُ العذاب

تقصُّ الآيةُ خطابَ نوحٍ ﷺ بعد أن سخر قومُه من صنع الفلك، موجِّهًا كلامَه لجملتهم بخطابٍ تهديديٍّ أخير ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، وقد ذكرتِ الآيةُ صفتين للعذاب في الدُّنيا والآخرة، الأولى: الخزي، والأخرى: الدَّوام، وهاتان الصفتان عذابان فوق العذاب، فكيف يكون العذاب؟ وذلك يكون جزاءً وفاقًا، فإنَّ من سخر من المؤمنين سيُخزى، ومن أدام السُّخرية؛ حُقَّ له دوام العذابِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حلل).
(2) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التَّمييز: 2/493، والرّاغب، المفردات: (حلَّ).
(3) الأزهري، تهذيب اللُّغة، مادَّة: (حل)، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصّل: (حلل).
(4) ابن عبّاد، المحيط في اللُّغة: (حلل).
(5) السَّمرقندي، بحر العلوم: 2/150، والقنوجي، فتح البيان: 6/178.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: 5/43.
(7) الفِيروزابادي، بصائر ذوي التَّمييز: 4/311، والأحمد نكري، دستور العلماء: 3/216.
(8) الرازي، مختار الصِّحاح، والجوهري، الصِّحاح: (قوم).
(9) الرّاغب، المفردات، والسَّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (قوم)، وابن كثير، تفسير القرآن الكريم: 4/277.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الفاء في ﴿فَسَوْفَ﴾:

التَّهديدُ بالعذابِ نتيجةٌ لازمةٌ عند الإفراطِ في السُّخرية

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تحتمل معنيين:

الأوَّل: أن تكون استئنافيَّة سببيَّة؛ إذ سَبَقَهُ ذِكر وعدٍ يجري مجرى السَّبب[1]؛ لأنَّه لما كان قوله: ﴿نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ واقعًا موقع هذا الإخبار، وهي ذاتها معنى الفاء التَّفريعيَّة، وهي التي يُذكر ما بعدها نتيجةً لما قبلها، فهذا التَّهديد هو تفريعٌ على جملة ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ أي: سيظهر من هو الأحقُّ بأن يُسخر منه[2]، فقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تفريعٌ على الجملة الشرطيَّة السّابقة ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾، فالتَّفريعيَّة والسَّببيَّة ملتقاهما واحدٌ؛ إذِ التَّفريع هو إنشاءُ معنًى متفرِّعٍ عن السّابق، ففيها معنى الاستئنافِ والسَّببيَّة.

الآخر: أن تكون عاطفةً جيء بها تهديدًا لأولئك السّاخرين[3]، فأضاف نوحٌ ﷺ إلى تهديدهم تهديدًا آخر بقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[4].

وهذه التوجيهات الاصطلاحيَّة للفاءِ تلتقي في كون ما بعدها نتيجةً لما قبلها، فالتَّهديد نتيجة السُّخرية، وهي ردٌّ عادلٌ لمن تصدَّى للحقِّ، وركب متن الحماقة، بدلًا من ركوب متن النجاة.

توجيه المتشابه اللَّفظي:

إدخال الفاء ونزعُها للتَّفنُّن في البلاغة مع أنَّ نَزْعَها أبلغُ في التَّهويل

إدخال الفاء في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾ وصلٌ ظاهرٌ بحرفٍ موضوعٍ للوصل - كما سبق بيان ذلك - لاسيَّما على جعل الفاء تفريعيَّةً للجملة السّابقة ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾.

---

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 10/77. والدَّعاس، إعراب القرآن الكريم: 2/56.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/69.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/33، وابن عطيَّة الاندلسي، المحرَّر الوجيز: 3/170.
(4) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 7/203.

وأمّا حذفها في قوله تعالى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [هود: 93]؛ فهو وصلٌ خفيٌّ تقديريٌّ إمّا بالاستئناف البيانيِّ الذي هو جوابٌ لسؤالٍ مقدَّر، كأنَّهم قالوا: فماذا يكون إذا عَملنا نحن على مكانتنا، وعملت أنت على مَكانَتِكَ؟ فقال: سوف تعلمون، وإمّا من باب البدل؛ فهو كمال اتِّصال؛ إذ جملة ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ﴾ أفادت التَّهديدَ، وكذلك جملة ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾، وكلتاهما للمستقبل، فجاءت كلُّ جملةٍ بما يُناسبها من ذكر الفاءِ وحذفها.

دلالة استعمال ﴿فَسَوْفَ﴾ دون (السين):

نلحظ في قول الحقِّ ﷻ: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الفعل الذي يعلمه نوح عليه السلام، وهو أمر الإغراق سيحدثُ مُستقبلًا؛ لأنَّ الكلام عن حدثٍ لم يأتِ زمنه، فالأمر يقتضي أن يُسبق الكلام عن الاستقبال البعيد، فجيء بكلمة ﴿فَسَوْفَ﴾؛ لأنَّ نوحًا عليه السلام قضى العديد من السِّنين، وهو يصنع السَّفينة قبل أن يقع الإغراق، فجاء بـ﴿فَسَوْفَ﴾؛ لتدلَّ على أوسع مدًى زمنيٍّ[1]، كما أنَّ فيها معنى التَّوكيد، فهو يُؤكِّد لهم أنَّه مهما طال الزَّمان؛ فسيقع العلمُ بإتيان العذاب المخزي، والعذاب الدّائم.

الخزيُ للسّاخرين واقعٌ حتمًا وإن طالَ زمانه

سرُّ التعبير بقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾:

جيء بهذه الجملة لتحقيق العلم؛ لأنَّه سيكون علمَ معاينةٍ لا علم إخبارٍ به، وهذا وعيدٌ لهم[2] وتهديدٌ جزاء سخريتهم، وقد اختيرت مفردة العلم في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ لبيانِ وقوع عاقبة التَّكذيب والاستهزاء، أو لبيان من هو أحقُّ بالسُّخرية، ومن هو أحمد عاقبةً[3]، وجَعْلُ العلم بمعنى المعرفةِ راجعٌ إلى أنَّه لمّا كان

أبلغ ردٍّ على الساخرين التهديد والوعيد

(1) الشَّعراوي، تفسير الشَّعراوي: 11/6468.
(2) السمرقندي، تفسير السَّمرقندي: 2/150.
(3) ابن الجوزي، زاد المسير: 2/372، والرّازي، تفسير الفخر الرّازي: 17/346.

مدارُ سخريتِهم استجهالَهم إياه ﷺ في مكابدة المشاقِّ الفادحةِ لدفع ما لا يكادُ يدخُل تحتَ الصِّحةِ على زعمهم من الطّوفان ومقاساةِ الشَّدائِد في بناء السفينةِ، وكانوا يعدّونه عذابًا، قيل بعد استجهالِهم: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مَنْ يَأْتيهِ العذابُ، يعني: أنَّ ما أُباشرُه ليس فيه عذابٌ لاحقٌ بي، فسوف تعلمون مَنِ المعذَّبُ؟ ولقد أصاب العلمُ بعد استجهالِهم مَحزَّهُ[1]، فناسبَ لفظُ العلم بما سيقع عليهم معنى الاستجهال الصّادر عنهم، أي: إذا كنتم ترونَنا جهلةً؛ فتسخرون منّا، فإنَّنا نحن من يُعلِمكم بما سيكون، فأتى على الضِّدِّ من استجهالِهم، وهو تعليمهم؛ ففيه معنى التَّهكُّم.

توجيهُ معنى فعل: ﴿تَعْلَمُونَ﴾:

معنى المعرفةِ هو الألصقُ بفعل العلم سياقًا ومقامًا ودلالةً، واليقين حاصلٌ باللُّزوم

يحتملُ الفعلُ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ معنيين، وهما: الأوَّل: أن يكون من باب اليقين فيتعدَّى لاثنين.

والآخر: أن يكونَ فعل ﴿تَعْلَمُونَ﴾ من باب العِرفان، فيتعدّى لواحد.

والمعنيان قويّان في السّياق، لكنَّ المعرفة هي المرادةُ في الآيةِ؛ إذ هو يُخبرهم بأنَّهم سيعرفون الذي يأتيه عذابٌ يُخزيه، وأمّا العلم اليقينيُّ؛ فهو تحصيلُ حاصلٍ بعد وقوعِ العذابِ، وعليه فإخبارُ نوحٍ ﷺ وقت أن خاطبَهم بقولِه: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ أريدَ بالعلم العرفانُ، وهو ما يقتضيه لفظُ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في السّياق، أمّا كونهم بعد تحقُّقِ العلم سيستيقنون؛ فهذا من اللّازم السّياقي لا اللّازم اللَّفظيِّ.

نكتةُ إسنادِ فعلِ العلم ﴿تَعْلَمُونَ﴾:

مقصودُ الخطابِ يتبعه اختيارُ النَّظم وبراعةُ التَّعبير

أسندَ النَّظم الكريم - في قولِه تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ - فعل ﴿تَعْلَمُونَ﴾ إلى واو الفاعل العائدِ على المخاطَبين، وهم السّاخرون، دون أن يأتي بضميرٍ مشارِكٍ للطَّرفين؛ المخاطَب والمتكلِّم، بأن يقال:

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 4/207.

(فسوف نعلم)، إيماءً إلى أنَّ المُخاطَبين هم الأحقُّ بعلم ذلك؛ لأنَّ الخطابَ خطابٌ تهديديٌّ، فتوجيهه إلى المهَدَّدِ هو المقصود أصالةً، فجاء النَّظم على ما يقتضيه الظّاهر والحال معًا، وهذا يُفيد بأنَّ من هو على الحقِّ، لا تزعزعه سفاهة السُّفهاء، بل عليه هو وأتباعه أن يسخروا من السّاخرين، ليقينهم بأنَّ العاقبة لهم دونهم[1].

دَلالَةُ ﴿مَن﴾:

مجيءُ العذابِ يحتاجُ إلى تعيين صاحبِه لتهديدِه ووعيدِه

تحتمل ﴿مَن﴾ في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾ معنيين:

الأوَّل: الاستفهام، فتكون ﴿مَن﴾ وما بعدها سادَّةً مَسَدَّ المفعولين، على جعل ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بمعنى اليقين، ومفعولًا لفعل ﴿تَعْلَمُونَ﴾ على معنى العرفان.

الآخر: الموصوليَّة، فتكون ﴿مَن﴾ إمّا في موضع المفعول الأوَّل، والثّاني: محذوف، وقد جوَّز هذا الوجه طائفةٌ من المفسِّرين، كابن عطيَّة - رحمه الله تعالى - حين قال: "وجائز أن تكون التعدية إلى مفعولين، واقتصر على الواحد"[2]، ومنعه آخرون[3]، وإمّا أن تكون مفعولًا لفعل ﴿تَعْلَمُونَ﴾ على معنى العرفان.

وحملُها على الموصوليَّة أوضحُ دلالةً، لاسيَّما على ترجيح معنى المعرفة في الفعل ﴿تَعْلَمُونَ﴾، أي: فسوف تعلمون الذي يأتيه عذابٌ يُخزيه.

سرُّ إيثارِ الغَيْبةِ في ﴿يَأْتِيهِ﴾:

دفعُ المُجادلةِ وقَطْعُ الخصومةِ حكمةُ الرُّسلِ في مواضعِ النِّهايات

في قوله تعالى: ﴿مَن يَأْتِيهِ﴾ تَرْكٌ للتَّصريح بذكْرِ الذين سخروا من صنعِ الفلك، والمواجهة لهم - فذكَّر بطريق المُنصفين - لأنَّ هذا أدخل في دفع مُجادلتهم الباطلة وقطع خصومتهم

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/69.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/170.
(3) السَّمين الحلبيُّ، الدُّرُّ المصون: 4/98.

الفاسدة[1]، فإنَّه آثر الإخبار عن ذلك بطريق الغيبة لا الخطاب لدفعِ مجادلتهم عن أنفسِهم، فإنَّهم مبادرون في السُّخرية، فكيف بدفاعِهم عن أنفسهم؟

دلالةُ إسناد فعل الإتيان إلى العذاب:

مفاجأةُ العذاب للظّالمين عذابٌ فوق العذاب

إتيانُ العذاب - في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾ - حلوله وحصوله، وهو مجازٌ عقليٌّ؛ لأنَّ حقيقة الإتيان المجيء، وهو الانتقال من موضع بعيد إلى الموضع الذي استقرَّ فيه مفعول الإتيان، فيُطلق مجازًا على حصول شيء لم يكن حاصلًا، وأُسند فعل ﴿يَأْتِيهِ﴾ إلى العذاب المخزي؛ لأنَّ الإتيان مُشعرٌ بأنَّه يُفاجئهم، كما يأتي الطّارق؛ وكذلك إسناد فعل ﴿وَيَحِلُّ﴾ إلى العذاب المقيم[2].

نكتةُ الاستعارةِ في لفظِ الإتيانِ:

تشبيه وقوع العذاب بالإتيان استعارةٌ تصريحيَّة

شبَّهتِ الآيةُ - في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾ - وقوعَ العذابِ المفاجئ بالسّاخرين من قوم نوحٍ ﷺ بالإتيان، على طريق الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، لما في ذلك من تأكيدِ الإتيانِ، بتجسيده في أذهان المخاطَبين؛ فإنَّ المعاني إذا تجسَّدت؛ فُهمت.

دلالةُ التّنكير في: ﴿عَذَابٌ﴾:

العذابُ الآتي عظيمٌ في وقوعه هائلٌ في آثارِه

تنكيرُ ﴿عَذَابٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ في الموضعين لتعظيمه وتفخيمه وتهويل أمره بحسب المُدَّة؛ فالعذاب الأوَّل: وهو عذاب الخزي، وإن كان في الدُّنيا؛ فإنَّ شدَّته بالغةٌ وألَمَه عظيمٌ؛ وأمّا عذاب الآخرة المقيم؛ فهو نوعٌ منه مجهولُ الكمِّ والكيف، لا يَعلم شِدَّته وعظمته إلّا اللّه تعالى، فأفاد التَّنكير النَّوع، مع استحضارِ التَّعظيم والتفخيم والتَّهويل، وهي معانٍ مستقاةٌ من السّياق.

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 10/77.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/21.

سرُّ وصف العذاب بالجملة الفعلية:

من أرادَ الخزيَ لأهـل الـكـرامـةِ لَحِقَه بلا كرامة

وُصِفَ العذابُ - في قولِه تعالى: ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ - بجملة فعلية، فعلُها مضارع للتنبيه على أنَّ الخزي متجدِّدٌ مستمرٌّ، لقاء سخريتهم المتجدِّدة في الدُّنيا من نوحٍ وقومه، واختارَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ الخزي في قوله تعالى: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ لهذا المقام، دون لفظِ الذُّلِّ وما يُرادفُه؛ لأنَّ الخزيَ ذلٌّ مَعَ افتضاح، والخزاية الاستحياء؛ لأنَّه انقماعٌ عَن الشَّيء لما فيه من العَيب[1]، وهو لفظٌ مُناسب لفعلتهم الشنعاء، ولما في الاستهزاء والسُّخرية من لحوق الخزي والعار عادَةً[2]؛ فكان هذا من قبيل المُشاكلة والمجانسة الفعليَّة لأفعالهم التي كانوا يسترذلون بها المؤمنين سخريَّةً وإيذاءً؛ فوصف عذابهم بما يُذلُّهم، ويجلب لهم العار والتَّبار في الدُّنيا[3] جزاءً وفاقًا.

سرُّ اختلافِ التَّعبير بين إتيان العذابِ وحلولِه:

الإتـيـان لا يستلزم الدَّوامَ، بخلاف الحُلول؛ فهو دوامٌ واستقرارٌ

ذكرتِ الآيةُ في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ فعلَين للعذاب: الأوَّل: فعل إتيانِ العذاب في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾، والآخر: فعل حلولِ العذابِ في قوله تعالى: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ﴾، والفرْقُ بينهما: أنَّه في عذاب الدُّنيا قال: ﴿يَأْتِيهِ﴾، والإتيان لا يستلزم الثَّبات والدَّوام، فقد يأتي، وقد يذهب، وأمّا في عذاب الآخرة؛ فقال: ﴿وَيَحِلُّ﴾ أي: يحلُّ عليه حلولَ الدَّين والحقِّ اللّازم الذي لا انفكاك له عنه[4]، فالحلول ضِدُّ الرَّحيل، ويفيد النُّزول من أعلى إلى مكان الإقامة، فحلَّ بالمكان، أي: نَزَلَ ليُقيم به[5]، فالحلول هو الوجوب والثَّبات والدَّوام؛ لأنَّ هذا

(1) العَسكري، الفروق اللُّغويّة، ص: 250.
(2) الجاوي، مراح لبيد: 1/507، وإسماعيل البروسوي، روح البيان: 4/126.
(3) محمَّد رشيد رضا، تفسير المنار: 12/74.
(4) الزَّمخشري، الكشّاف: 2/393، والبيضاوي، أنوار التَّنزيل: 3/134.
(5) الشَّعراوي، تفسير الشَّعراوي، ص: 6468.

العذاب يجب، ولا يذهب، ولا ينفك عنهم، ولا يرحل، أو يتحوَّل[1]؛ فاختلف الفعل لاختلاف الدَّلالة.

فقدِ اختارَ لكلٍّ موصوفٍ الصِّفةَ الأليق به باعتبارِ زمانِ وقوعه، وباعتبارِ الفعل الذي أُسنِد إليه العذاب، أمّا الأوَّل: وهو قوله تعالى: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ فالمقصودُ به عذاب الدُّنيا، وهو عذابٌ يخزي أصحابه في العاجلةِ، وهو مناسبٌ لفعل الإتيان، وأمّا الآخر؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، فالمقصود به عذاب الآخرة، وهو عذابٌ مقيم لخلودِ النّارِ، وهو المناسب لفعل الحلول، فإنَّ مقتضى الحلول البقاءُ الدّائمُ، فجاء كلُّ وصفٍ بما يناسبُ زمانَ الموصوف، وفعلَهُ الذي أُسند إليه.

نكتةُ الاستعارة في: ﴿وَيَحِلُّ﴾:

سعةُ احتمالاتِ الاستعارةِ دليلُ قـوَّة الـبـيـانِ وعظيم التَّصوير

في قوله تعالى: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ فعل ﴿وَيَحِلُّ﴾: إمّا أن يُحمل على الاستعارة المكنيَّة، أو التَّمثيليَّة، أمّا المكنيَّة؛ فهي من تشبيه العذاب الأخرويِّ الذي قضى اللّه تعالى به في حقِّهم بالدَّين المُؤَجَّل الواجب الحلول، وأثبتَ له الحلولَ الذي هو من لوازمه[2]، فقوله تعالى: ﴿وَيَحِلُّ﴾ أي: حلول الدَّين المطلوب لصاحبِه الذي لا انفكاك عنه؛ ففي الكلام استعارةٌ مكنيَّة تبعيَّة.

وأمّا الاستعارة التَّمثيليَّة[3]؛ فهي من تشبيه الحصول بحلول القادم إلى المكان[4].

دلالةُ تعدية فعل ﴿وَيَحِلُّ﴾ بحرف الاستعلاء:

جـمـعَ الـلـه عليهم العذابَ المعنويَّ والحسيَّ

تعدَّى فعلُ ﴿وَيَحِلُّ﴾ بحرف "على" للدَّلالة على تَمَكُّنِه؛ لأنَّه دائمٌ عليهم سَرْمَدٌ[5]، ونكتةُ ذلك: تصوير مشهد الحلولِ من أعلى إلى

(1) السّامرائي، على طريق التَّفسير البياني، ص: 153.
(2) إسماعيل البروسوي، روح البيان: 4/126.
(3) أطفيش، تيسير التفسير: 6/392.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/69.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/150.

أسفل، وحلول العذاب عليهم من أشرف مواضع الجسد إلى أخمص القدمين، وفيه معنى الخزي؛ فإنَّ علوَّ العذابِ - وهم دونه - خزيٌ وعارٌ وتبابٌ، جمعَ اللّه لهم في هذا التَّعبير العذابَ الماديَّ والمعنويَّ.

سرُّ المغايرة بين أوصافِ العذاب:

عــذابُ الـخـزيِ عامٌّ في الدّارين، والإقامةُ خاصَّةٌ بعذاب الآخرة

في قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ و﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ حمل أكثرُ المُفسِّرين العذابَ الذي يُخزي على الغرق؛ لقوله بعده: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، فإنَّ المُراد به عذاب الآخرة، والدَّليل على ذلك هو المُقابلة، وتكرُّرُ العذاب مُنَكَّرًا في اللَّفظ، ووصفُ الأوَّل بالإخزاء والثّاني بالإقامة، فحسُنَ التَّقابلُ بذلك[1].

ويجوز حملُ العذاب المُخزي على العموم، والمقيم على عذاب الآخرة، تخصيصًا بعد تعميم، وتهويلًا لعذاب الآخرة لشدَّته ودوامه، وهذا أبلغ، والأوَّل أظهر لتبادر أنَّ الأصل عدم العموم ثُمَّ التَّخصيص[2]، وأيًّا ما كان، فالخزيُ حاصلٌ في الدُّنيا والآخرة، والإقامةُ مختصَّةٌ في الآخرةِ. وقد غاير النَّظمُ الكريم بين وصفَي العذاب، فجاء في قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ بالصّيغة الفعليَّة، وجاء في قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ بالصّيغة الاسميَّة، وهو العذاب السَّرمديُّ الأبديُّ؛ فعبَّر بالفعل في إتيان عذاب الخزي في الدُّنيا؛ لأنَّه لا يستلزم الدَّوام، ثُمَّ جاء بلفظ ﴿مُّقِيمٌ﴾؛ للدَّلالة على دوام العذاب، ورفع اللَّبس، وإبعاد الاحتمال؛ فالعذاب المقيم: هو عذابُ النّار الدّائم، وفي نعته بالاسم تهديدٌ بليغ[3]؛ إذ كلُّ ما في الدُّنيا فهو هيِّن ليِّن بالنِّسبة إلى ما يكون في الآخرة لانقضائه وزواله، وبقاء ذاك ودوامه[4]، فالمُغايرة في نعت كلِّ عذابٍ للتَّنبيه

(1) القونوي، حاشية القونوي: 10/77.
(2) أطفيش، تيسير التفسير: 6/392.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/207.
(4) المراغي، تفسير المراغي: 12/35.

عَلى أنَّ عذاب الآخرَة أشَدُّ وأبقى، وأنَّ عذاب الدُّنْيا في جنبها كَلا عذاب[1].

بلاغةُ المجازِ في التَّعبير بلفظ (الإقامة):

الإقامةُ دوامٌ لا يزول، واستقرارٌ لا يتحوَّل

معنى ﴿مُّقِيمٌ﴾، أي: دائمٌ مستمرٌّ أبدًا[2]، والتعرُّض لحلول العذاب المُقيم للمُبالغة في التَّهديد[3]، فَحلَّ بهم عذابُ الغرق حتَّى ماتوا، وصاروا معذَّبين في البرزخ إلى يوم القيامة، ثُمَّ مَردُّهم إلى عذاب النّار، وبئس المصير[4]، فصفة ﴿مُّقِيمٌ﴾ تَدُلُّ على الدَّوام والاستمرار، واستُعيرت الإقامة للدَّوام من قبل المجاز اللُّغوي؛ إذ الدَّوام يستلزم الإقامة، ويجوز أن يكون مَجازًا إسناديًّا، أي: مقيمٌ فيه صاحبه[5].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المجيءُ والإتيانُ والحلولُ:

المَجيءُ: إتْيانٌ مُحَقَّقٌ، والحلول: إتيان بقصد الإقامة

الإتْيانُ: مجيءٌ بسهولة، وهو بدايَةُ المجيءِ[6]، فإذا اكتمل، وبَلَغَ مَقْصدَهُ من مكان أو زمان أو شخص؛ أصبح مجيئًا، فالمجيءُ هو إتيانٌ مُحَقَّقٌ بَعيدٌ عن عوامل النَّقص، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ [الأعراف: 129]، فالإتيانُ بداية المجيء زمانيًّا أو مكانيًّا، وقد لا يتمُّ، فلا يكونُ مَجيئًا، أمّا المجيءُ؛ فهو إتيانٌ مُحَقَّقٌ قريبٌ زمانيًّا ومكانيًّا[7].

أمّا الحلول؛ فهو ضِدُّ الرَّحيل، ويفيد النُّزولَ والإتيانَ من أعلى إلى مكانٍ بقصد الإقامة، يُقال: حلَّ بالمكان، أي: نَزَلَ ليُقيم به[8].

(1) حاشيتا القونوي وابن التمجيد على البيضاوي: 16/535.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/277، ووهبة الزُّحيلي، التَّفسير الوسيط: 2/1041.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/207، والآلوسي، روح المعاني: 6/250.
(4) ثناء الله المظهري، التَّفسير المظهري: 5/84.
(5) القونوي، حاشية القونوي: 10/77.
(6) الرّاغب، المفردات، ص: 283.
(7) جبل، المعجم الاشتِقاقيّ المؤصّل: 1/264.
(8) ابن عبّاد، المحيط في اللُّغة: 1/158، والكفوي، الكلِّيّات، ص: 827، والشَّعراوي، تفسير الشَّعراوي: 11/6468.

الذُّلُّ والخزي:

الذُّلُّ والذِّلَّة والمذَلَّةُ ما كانَ عن قهرٍ وضعفٍ وهوانٍ، يُقال: ذَلَّ المرءُ؛ إذا ضعُف، وهان؛ فهو ذَليلٌ، والجمع أذِلّاءُ[1]، والخزي ذُلٌّ مع افتضاح، وقيل: هو الانقماع لقبح الفعل، والخزاية الاستحياء؛ لأنَّهُ انقماعٌ عن الشَّيء لما فيهِ من العَيْب، يُقال: خَزيَ يَخْزى خِزْيًا؛ إذا استحيا من سوء فعله[2]، فالخزي لا يكونُ إلّا ما يجري مَجرى العقوبةِ منَ الهوان والإذلال، فكلُّ ما هذه صفته يدخلُ تحتهُ، وذلك رَدْعٌ منَ اللّه تعالى[3].

الـــذُّلُّ ضَـعْـفٌ وهوان، والخزي ذُلٌّ مع افتضاحٍ جـــارٍ مـجـرى العقوبة

(1) الفيومي، المصباح المنير: 1/210، والكفوي، الكليّات، ص: 462.
(2) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 250.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 12/4.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»